قيمة الفلسفة:

إن التشكيك في قيمة الفلسفة والتساؤل عن أهميتها ليس ظاهرة مستحدثة أفرزها التقدم العلمي في العصور المتأخرة كما يعتقد البعض، ولكن الأمر قديم قدم التفكير الفلسفي ذاته، فقد إنبرى أرسطو منذ الأزمنة الإغريقية للدفاع عن الفلسفة في وجه منتقديها، في هذا السياق نصادف موقفان تقليديان متناقضان من الفلسفة هما كالتالي:

الموقف الأول والذي يمثله المؤيدون أو المدافعون عن الفلسفة إذ يرون فيها أنها توقظ العقل من سباته وتدفعه إلى التساؤل البحث التفكير النظر التدبر كما أنها أي الفلسفة تنظم عقل الإنسان وتربط تفكيره يقول ديكارت أن الفلسفة وحدها هي التي تميزنا عن الأقوام المتوحشين وإنما تقاس حضارة الأمم بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها".

إن الفلسفة وسيلة لوعي الإنسان بذاته وسبيل لمواجهه نفسه وفي هذا يقول ياسبير: **"التفكير الفلسفي يضع الإنسان وجها لوجه أمام ذاته"**، كما أن الفلسفة تقوي ملكة النقد والتمحيص والموازنة وتنأى بنفسها عن التقليد دون برهان أو دليل كما أنها تزود العقل بالقدرة على إثارة التساؤلات التي تفتح المجال لتواصلي إلى المعارف والأفكار الجديدة، وعلى العموم فإن الفلسفة تمكننا من التعرف على الأهداف البعيدة التي تجاهد البشرية من أجل تحقيقها وتحفزنا على أن نساهم في تحقيقها ما إستطعنا إلى ذلك سبيلا.

ويرفض الفلاسفة، في دفاعهم عن الفلسفة، انتقادات العلماء الموجهة للفلسفة بدعوى أنها لا يمكن أن تكون مصدرًا موثوقًا للمعرفة، أو منهجًا مفيدًا في ميدانها، فيؤكدون على أن الفلسفة لعبت دورًا معرفيًا هامًا في تاريخ التطور البشري، وأن الفلسفة كانت دوما مرتبطة بالعلم؛ تعطيه، وتأخذ منه، وتتفاعل معه بشكل جدلي، ويعتمد كلا منهما بشكل متبادل على الآخر، وبهذا الصدد تشير سابرينا إي سميث -مثلًا- مركّزة على أهمية الفلسفة إلى أن «التجارب الفكريّة الفلسفيّة لآلبرت أينشتاين جعلت مشروع كاسيني مُمكن الحدوث، ومنطق أرسطو هو أساس علم الحاسوب الذي أنتج لنا الحواسيب المحمولة والهواتف الذكيّة، وعمل الفلاسفة في مسألة العقل والجسد مهّد الطريق لنشوء علم النّفس العصبيّ ومن ثم تقنية التصوير الدماغيّ»، وتضيف أن «الفلسفة لطالما كانت كامنة بهدوء خلف العمل العلميّ»، وهي ترى أنّ «العلم يفيض بالكثير من المفاهيم الهامّة، والتفسيريّة، والمنهجيّة، والمسائل الأخلاقيّة التي من شأن الفلاسفة الذين يتمتعون بمكانة فريدة التمّكن من معالجتها[1]

ويؤكد الفيلسوف الفرنسي الشهير بول ريكور (Paul Ricœur) قيمة الفلسفة برفضه رفضًا لمقولة «موت الفلسفة» في العالم المعاصر، ويؤكد إيمانه بضرورة وإمكانية تجديد دورها في هذا العالم الذي تتفشى فيه العدمية، وفقدان القيم الإنسانية، فيرى أن مشكلة الفلسفة الراهنة هي في عدم وجود حوار بينها وبين العلم، حيث لا يحاور فلاسفة اليوم بعضهم بعضًا، فيما كان فلاسفة الماضي مؤهلين في علم أو أكثر، إذ

---

[1] سابرينا إي سميث، **لم الفلسفة مهمة جدًا في التعليم العلمي؟** ترجمة نورة المقرن ، مجلة حكمة، 2018/02/15، https://cutt.us/aIZJX

كان «أفلاطون عالم هندسة«(geometer) ، وكان «ديكارت عالم رياضيات» مثلًا، ولذا يرى ريكور وجوب أن تحاور الفلسفة اليوم العلوم الإنسانية، التي لها نفس الموضوع المشترك مع الفلسفة، وهو الإنسان، بخلاف العلوم الطبيعية التي تبحث في ما هو مغاير للإنسان، وبالتالي فعلى الفلسفة أن تكون دوما في حالة حوار دائم مع العلوم الإنسانية لكي يبقى الإنسان هو هدف هذه العلوم، في الوقت الذي تتعامل هذه العلوم معه كموضوع كما تتعامل العلوم الطبيعية مع موضوعها[2]

أما بالنسبة **للموقف الثاني** فهو الموقف المعادي للفلسفة وأطروحاتها وهذا من منطلق المقارنة بينها وبين العلم التي يحقق فيها العلم تقدم مطردا ويفضي إلى تطبيقات ذات نفع بالغ لم تخرج الفلسفة أي تقدم يذكر وليس لها تطبيقات عملية يقول **بيرترند راسل: " إن العلم النظري هو محاولة فهم العالم اما العلم العملي فهو محاولة تغيير العالم"**، فالعلم استطاع في فترة وجيزة أن يخلص ويحرر الإنسان من العديد من الحتميات في مقدمتها الحتمية الطبيعية، والبيولوجية وغيرهما.

وعلى هذا الأساس، ومقارنة بين نتائج العلم والفلسفة، نكتشف أن هذه الأخيرة لم تحقق أي شيء ، وهذا ما يتطابق مع وجهة نظر كانط، فالفلاسفة منذ القديم وهم يتفلسفون حول مختلف القضايا ولكنهم لم يستطيعوا حتى أن يحسموا لنا ولو قضية واحدة كمسألة خلود الروح من عدمها، وزيادة على ذلك فمنهج الفلسفة النظري هو من يقرر أحكاما على الأشياء، أي تحديد حقائقها، وهو ما يجعلها صناعة نظرية خالصة لا جدوى منها غايتها التحليل من أجل التحليل، فالفيلسوف لا يبرح عالم التأملات المجردة وصوغ التصورات والاطروحات النظرية إنه إنسان حالم وهائم يحلق في السماء لا يكترث كثيرا بمعرفة الكيفية التي يمكن أن يؤثر بها في الواقع الذي يؤمل في تغييره، من هنا كانت الطريقة المجدية للوصول إلى الحقائق هي الإستعانة بالتجربة العملية، فالعلم يجمع الوقائع يصنفها، ويحللها وهو ما يجعله يحتل مكانة الصدارة بين أنشطة الفكر البشري دون منازع، وزيادة على ما سبق فالفلسفة تتميز بكثرة واختلاف آراء الفلاسفة وتناقض مواقفهم ومذاهبهم وتعارض أفكارهم إذ إن ذلك يسد الطريقه أمام المطّلع على هذه المذاهب ومحاولته فهمها.

في الأخير يمكن القول أن الفلسفة غالبا ما تتعارض والدين إذ أن قاعدةكل منهما مختلفة عن الآخر، فموقف الفلسفة نقدي _ شكي وتمحيصي، أما بالنسبة للدين فإنه مبني على ضرورة التسليم المطلق بالعقائد وما جاءت به الكتب السماوية دون مناقشة وبرهان وشتان بين الموقفين.

ومهما قيل عن أهمية وقيمة الفكر الفلسفي فإننا نقول أن هذا الأخير يبقى نشاطا بشريا معترفا به له مجاله وتخصصه، وتساؤلاته، وإشكالاته الخاصة التي يحاول الإجابة عليها بمناهجه والتي يراها مناسبة، ولا أدل على ذلك من محاولة إعادة بلورة

---

[2]بول ريكور ،**جدوى الفلسفة اليوم**، ترجمة د. زهير الخويلدي، المجلة الثقافية الجزائرية، 2019/11/30.

الفكر الفلسفي كل مرة خاصة في المرحلة المعاصرة أين تم رفض المفهوم التقليدي في الفلسفة والذي يختزلها في البحث بالنظر، وكذا الاتجاه بها نحو التطبيقات العملية، والحياتية محاولة فهم الانسان والعالم.